حوار القديس سيرافيم ساروف مع نيقولاوس موتوفيلوف

كما ذكره نيقولاوس موتوفيلوф*

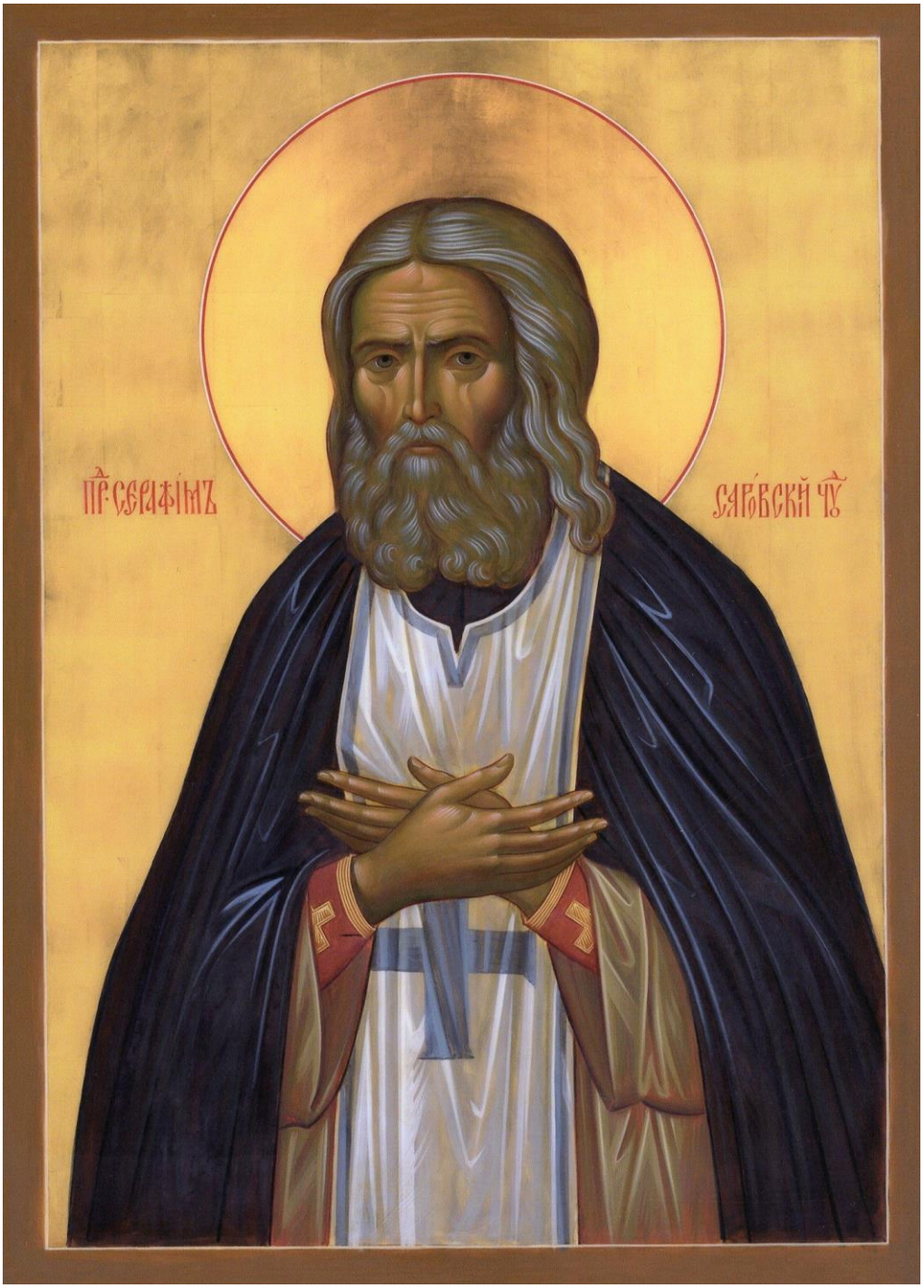

✠

كان اليوم الخميس، وكان الجو معبساً بالغيوم والأرض مغطاة بثلوج يصل سمكها لحوالي ثماني بوصات، وكانت السماء لا تزال تُسقط من جعبتها قطع كبيرة من الجليد عندما بدأ الأب سيرافيم حديثه معي.

كان ذلك في بقعة جرداء وسط الغابة بالقرب من منسكه الصغير الذي يمر أمامه جدول مياه ساروفكا الصغير عند أسفل التل في نهاية ميل ضفة النهر. أجلسني بالقرب منه على جذع شجرة كان قد قطعه لتوّه، أما هو فافترش الأرض وابتدأ يقول:

"الرب قد أعلن لي أنك ومنذ صغرك أنت تشتاق أن تعرف غاية الحياة المسيحية وأنك كثيراً ما طرحت هذا السؤال على أناس عدة، ومنهم أيضاً أناس روحيين في الكنيسة."

وهنا يجب أن أعترف فعلاً أن هذا الفكر كان يزعجني منذ سن الثانية عشر، وأنني فعلاً قد وجّهت هذا السؤال إلى العديد من رجال الإكليروس دون أن أحصل على إجابة شافية. لكنني كنت أظن أن الستاريتز يجهل ذلك، ولكنه أردف قائلاً:

"لكن لم يستطع أحد أن يعطيك جواباً محدداً؛ لقد كانوا يوجّهون النصح إليك بالتردد على الكنيسة ومداومة الصلاة وتنفيذ الوصايا الإلهية وعمل كل ما هو صالح. وكانوا يدَّعون أن هذه هي غاية الحياة المسيحية، بل أن بعضهم نهرك على هذا الفضول، وقالوا لك لا تبحث عما هو أعلى من قامتك، لأنك بذلك تتعدّى الحدود إلى حد الخطأ. ولكنهم جميعا قد جانبهم الصواب، أما أنا المسكين سيرافيم فسأشرح لك الآن ما هي الغاية الحقيقية لحياتنا المسيحية والهدف منها.

"إن الصلاة والصوم والسهر وكافة الممارسات المسيحية الأخرى رغم أنها نافعة فعلا في حد ذاتها، إلا أنها لا تشكّل هدف حياتنا المسيحية، أنها ليست سوى وسائل تساعدنا على

بلوغ الهدف. أما غاية ما تصبو إليه الحياة المسيحية فهو اقتناء الروح القدس. أما الصلاة والصوم والسهر والعطاء وكل ما عداها من أعمال صالحة والتي نفعلها من اجل المسيح، فهي ليست سوى وسائط لاقتناء الروح القدس.

"ولكن لاحظ يا بني، أن العمل الصالح فقط المعمول باسم المسيح يجلب لنا ثمار الروح القدس. وكل ما لم يُعمل باسمه ولأجله، وإن كان صالحاً، فلا ثمر له ولا مكافأة لا في الأبدية، ولا حتى في هذه الحياة يستطيع أن يستجلب لنا النعمة. ولهذا يقول ربنا يسوع المسيح: 'من لا يجمع معي فهو يفرّق' (القديس لوقا 11:23). ومع ذلك فإننا مضطرون أن نسمي الأعمال الصالحة "جمعاً أو حصاداً" لأنها وإن كانت ليست معمولة باسم المسيح فهي تبقى صالحة. الكتاب يقول: 'في كل أمة الذي يتّقيه ويصنع البر مقبول عنده' (أعمال الرسل 10:35). وكما نفهم من قصة قائد المئة كرنيليوس، الذي كان يخاف الله ويسلك بالبر، كان سبب مسرة لله حتى أن ملاك الرب وقف به أثناء صلاته وقال له: 'أرسل إلى يافا رجالاً عند سمعان الدباغ، ستجد هناك رجلاً يُدعى بطرس، ستسمع منه كلام الحياة الأبدية به ستخلص أنت وأهل بيتك' (أعمال الرسل 10).

"وهكذا نرى أن الله يستعمل وسائله المقدسة حتى لا يُحرم مثل هذا الرجل، في الأبدية، من المجازاة التي يستحقها بسبب أعماله الصالحة. ولكن يلزمه حتى ينالها هناك أن يؤمن ها هنا بالرب يسوع ابن الله، الذي جاء إلى العالم ليخلص الخطأة، والذي به (بالمسيح) ننال نعمة الروح القدس، الذي بواسطته يدخل ملكوت الله إلى داخل قلوبنا، ويمهّد فينا الطريق لننال بركات حياة الدهر الآتي.

"أما قيمة الأعمال الصالحة – التي ليست معمولة من أجل المسيح – أمام الله، فتتوقف عند هذا الحد: إن الرب يعطي الإنسان الوسائل التي تفتح له طريق الحياة، وعليه أن يختار

إمَّا الإستفادة منها أو إهمالها. ولهذا يقول مخلصنا الصالح لليهود: 'لو كنتم عمياناً، لما كانت لكم خطية، ولكنكم تقولون أننا نبصر ولهذا فخطيتكم باقية' (القديس يوحنا 9:41).

"عندما ينال رجل مثل كرنيليوس رضا الرب بسبب أعماله الصالحة، مع أنها ليست معمولة باسم المسيح، ثم يؤمن بابن الله، فإن أعماله كلها تُحسب أنها معمولة باسم المسيح بسبب إيمانه به. وعلى النقيض، فليس من حق المرء أن يتذمر أن عمله الصالح لم ينل المجازاة اللائقة، وهذا يستحيل لو كان معمولاً باسم المسيح، لأن تكميل كل ما هو صالح باسمه لا يجلب أكاليل البر في الدهر الآتي فحسب، بل يملأ الإنسان منذ الآن في هذا الدهر بنعمة الروح القدس، كما هو مكتوب 'لأنه الله لا يعطي الروح بمقدار. الآب يحب الإبن وقد جعل كل شيء في يده' (يوحنا 3:34-35).

"وهكذا يا صديق الرب، يتضح أن اقتناء روح الله هو الهدف الحقيقي لحياتنا المسيحية وأما الصلاة والسهر والصوم والصدقة وما عداها من أعمال الفضائل التي تُعمل لأجل المسيح فهي الوسائط التي توصّلنا إلى غايتنا في اقتنائه."

سألت الأب سيرافيم: "ماذا تعني بالإقتناء؟ أنني لم أفهم جيداً ما تقصده!"، فأجاب:

"الإقتناء هو نفسه الحصول على الشيء، أنت تفهم طبعاً معنى إقتناء المال؟ إقتناء الروح القدس مثله تماماً. أنت تفهم بما فيه الكفاية ماذا يعني ذلك بحسب المفاهيم العالمية. لعامة الناس، إقتناء المال هدف لحياتهم، أما عُلية القوم فيضاف إلى المال اكتساب الكرامة والشهرة وما يميزهم عن الآخرين، وعموماً كل مجازاة عمّا قدّموه إلى الدولة. كذلك اقتناء الروح القدس، فهو إيضاً رئيسي وأساسي، ولكنه كنز أبدي، مصدر لكل نعمة. واقتناؤه يكون بنفس طريقة اقتناء الكنز المادي الزمني الزائل.

"الرب يسوع المسيح، الله الكلمة المتجسد، يشبّه حياتنا بالسوق وأعمالنا على الأرض بالتجارة، وهو يوصينا جميعاً: تاجروا حتى آجئ، وادخروا الوقت لأن الأيام شريرة. وهو يقصد أن يقول: إعملوا جلّ وقتكم على اقتناء الخيرات السماوية من خلال البضائع الأرضية، هذه البضائع الأرضية ليست سوى أعمال الفضيلة المعمولة باسم المسيح والتي تستجلب لنا نعمة الروح القدس.

"في مثل العذارى الحكيمات والعذارى الجاهلات، عندما فرغ زيت الأخيرات، قيل لهن: 'إذهبن وابتعن من السوق،' وعندما عُدن وجدن منزل العُرس قد أغلق بابه، ولم يتمكنّ من الدخول.

"الكثيرون يعتقدون أن نقصان الزيت عند العذارى الجاهلات كناية عن نقصان أعمال الفضيلة المعمولة طوال الحياة. هذا التفسير ليس صحيح تماماً. لماذا هنّ يفتقرن لأعمال الفضيلة إن كن يُدعون بالعذارى، وإن كن جاهلات؟ فالبتولية في حد ذاتها فضيلة عظمى، حالة ملائكية، وهي يمكنها أن تستبدل كل الفضائل الأخرى.

"أما أنا فأظن أن الذي كان ينقصهن بالتحديد هو نعمة روح الله الكلي القداسة. تلك العذارى مارسن الفضائل لكن نتيجة جهلهن الروحي اعتقدن أن الحياة المسيحية تقتصر على الأعمال الصالحة. بفعلهن العمل الصالح هن اعتقدن أنهن يعملن عمل الله، لكنّهن اكترثن قليلاً عما إذا كن قد اقتنين بذلك نعمة روح الله. إن سبل هذه الحياة المعتمدة على ممارسة الصالحات دون أن تُمتحن بدقة لنعرف مقدار ما تؤدي إليه من نعمة روح الله، هي مذكورة في كتب الآباء: 'توجد طريق أخرى تظهر للإنسان جيدة في البداية ولكن نهايتها تكون في قاع الجحيم.'

"في حديثه عن أولئك العذارى يقول القديس أنطونيوس الكبير في رسائله إلى الرهبان: 'كثير من الرهبان والعذارى لا يدركون إطلاقاً أنواع المشيئات المختلفة التي تعمل في الإنسان، وهم لا يعرفون أننا نتأثر بثلاثة تحديداً: الأولى هي مشيئة الله الكلية الكمال والمخلّصة بالكلية. والثانية هي مشيئتنا البشرية التي، وإن لم تكن مدمِّرة، لكنها أيضاً ليست مخلّصة. أما الثالثة فهي مشيئة الشيطان وهي مدمِّرة بالكلية. وهذه المشيئة الثالثة هي التي تعلّم الإنسان إما على عدم ممارسة الفضائل إطلاقاً، أو على ممارستها بكبرياء، أو ممارستها لمجرد الفضيلة وليس لأجل المسيح. الثانية، وهي مشيئتنا الخاصة، تعلّمنا أن نعمل كل شيء لإرضاء أهوائنا، أو هي تعلّمنا مثل العدو على فعل الخير لحد ذاته وألاّ نهتم للنعمة المقتناة منها. أما المشيئة الأولى، أي المشيئة الإلهية المخلّصة بالكلية، فهي ترتكز على عمل الخير لهدف واحد هو اقتناء الروح القدس، بمثابة كنز أبدي لا يفنى ولا يضمحل ولا يساويه شيء على الإطلاق. يمكن القول إذا أن نعمة الروح القدس هو الزيت الذي افتقرن له العذارى الجاهلات. هن دُعين جاهلات فقط لأنهن نسين ثمر الفضيلة اللازم، أي نعمة الروح القدس التي بدونها لا يخلص أحد، لأن: 'بالروح القدس كل نفس تحيا وتتنقى مرتفعةً ولامعةً بالثالوث الواحد بحالٍ شريفة سرّية.'

"هذا هو الزيت الذي ملأ مصابيح العذارى الحكيمات، الزيت الذي استمر مشتعلاً ومنيراً، والذي وحده أهّل العذارى الحكيمات لمقابلة العريس، عندما أتى في نصف الليل، بل وأدخلهن معه إلى حجرة العرس التي هي الفرح الأبدي. أما العذارى الجاهلات، بالرغم من أنهن ذهبن إلى السوق ليبتعن الزيت حين رأين مصابيحهن تنطفئ ، لم يُسعفهن الوقت للعودة لأن الباب كان قد سبق وأُغلق. السوق هو حياتنا، والباب الذي يُغلق فيمنع وصولنا إلى العريس هو الموت البشري، أما العذارى الجاهلات والحكيمات فهي النفوس المسيحية. الزيت لا يعني أبداً أعمالنا الصالحة بل نعمة الروح الكلي القداسة، والتي تُقتنى

من خلالها. وبواسطتها يملأ الروح القدس كياننا محوّلاً إيانا إلى أن يلبس المائت عدم الموت، والفاسد عدم الفساد. الموت بالجسد يتحول إلى حياة أبدية، والموت النفسي إلى حياة روحية، والظلمة تتحول إلى نور، الحظائر المربوطة فيها غرائزنا مثل الحيوانات إلى هياكل لله، إلى حجرات للعرس نتقابل فيها مع ربنا، خالقنا ومخلصنا، عريس نفوسنا السماوي.

"الروح القدس بنفسه يأتي ويسكن فينا، أي في أرواحنا، وهذا الحلول فينا للكلي القدرة، أي الوجود داخلنا لوحدة الثالوث وكينونتها مع أرواحنا، لا تُعطى لنا إلاّ بشرط العمل بكل اجتهاد. وبكل وسيلة تتاح لنا لاقتناء هذا الروح القدس، الذي يهيئ فينا موضعاً لائقاً بهذا الإلتقاء حسب قول الحق الذي للرب: 'إني سأسكن فيهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً' (2 كورنثوس 6:16).

"كم هو عظيمٌ تعاطف الله لشقاوتنا، أي إهمالنا لعنايته بنا، حين يقول: 'هاأنذا واقف على الباب أقرع' (رؤيا القديس يوحنا 3:20)، ويُفهم من 'الباب' سياق حياتنا التي لم يغلقها الموت بعد! آه يا حبيب الرب كم أتمنى أن تكون أنت في هذه الحياة دوماً في ملء الروح القدس! 'سأحكم عليكم في الحالة التي أجدكم فيها،'[1] يقول الرب.

"فيا لشقاوتنا إذا وجدنا مُثقلين بالهموم والأتعاب الأرضية! لأن من ذا الذي يستطيع أن يحتمل غضبه، أم من سيصمد أمام غضب وجهه؟ لذلك هو قال: 'إسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة' (القديس مرقس 14:38)، أي لكي لا تُحرموا من روح الله، لأن السهر والصلاة تجلبان لنا نعمته.

"بالطبع كل عمل صالح بإسم المسيح يجلب نعمة الروح القدس، أما الصلاة فهي أكثر مما عداها في فاعليتها لإجتلاب النعمة، لأنها في متناولنا على الدوام. فقد يكون لكم رغبة في الذهاب إلى الكنيسة، ولكن الكنيسة بعيدة، أو أن موعد الخدمات فيها قد انتهى. أو قد

يكون لك الرغبة في التصدق على الفقراء لكن لا يوجد أمامك فقير، أو ليس لديك شيء لتعطيه. أو تتمنى أن تعيش بتولاً، لكن ليس لك القدرة على ذلك، سواء لتكوينك النفسي أو لمحاربات العدو التي قد لا يستطيع كل إنسان أن يقاومها بسبب ميول الجسد الضعيفة. أو قد تكون لك رغبة في أي عمل صالح آخر تعمله باسم المسيح، ولكن قوتك تضعف عن إتمامه، أو أن الظروف غير مؤاتيه له لسبب أو لآخر.

"أما الصلاة فلا شيء من كل ما سبق يستطيع أن يمنعها، فالمرء له على الدوام القدرة على الصلاة، الغني والفقير، العظيم كالعامي، القوي كالضعيف، الصحيح كالعليل، البار كالخاطئ.

"ويمكننا الحكم على قوة وفاعلية الصلاة، حتى صلاة الخاطئ إن كانت بعزم القلب، من هذه القصة التي نجدها في التقليد المقدس: فقد مات إبن وحيد لأمه البائسة، وفي الطريق إلى القبر تقابلت مع إمرأة ساقطة كانت قادمة لتوها من بيت النجاسة، فما كان من هذه الأخيرة إلاّ أن رقّ قلبها لتلك الثكلى اليائسة، فتجرأت وصرخت نحو الرب، بالرغم من نجاسة الخطيئة التي كانت لا تزال تملأ حياتها وقالت: ليس من أجلي أنا الخاطئة المسكينة، لكن من اجل دموع هذه الأم التي تبكي وحيدها، وكلي ثقة في مراحمك واقتدارك فأقمه يا سيدي الرب! والرب أقامه.

"هذه يا صديق الرب هي قوة وفاعلية الصلاة. فهي أكثر من كل شيء تعطي روح القدس، ويمكن للجميع ممارستها بكل سهولة. فطوبى لنا إذا أتى الرب ووجدنا ساهرين، وفي ملء نعمة روحه القدوس. حينئذ يمكننا الأمل بجرأة بأن نختطف على السحاب لملاقاة الرب في الهواء (1 تسالونيكي 4:17)، الذي سيأتي بقوة ومجد (القديس مرقس 13:26)

ليدين الأحياء والأموات (1 القديس بطرس 4:5) ويجازي كل واحد بحسب أعماله. (القديس متى 16:27).

"أنت تظن يا حبيب الرب أنها لسعادة كبيرة أن تتحادث مع المسكين سيرافيم، معتقداً أنه لا يخلو من نعمة الرب. فماذا إذاً يمكن القول عن الرب نفسه، الذي هو المصدر الذي لا ينفذ لكل بركة سماوية وأرضية؟ حقاً إننا بالصلاة نؤهّل للكلام معه، أي مع فادينا المحيي الكلي الرأفة، ولكن حتى هنا علينا الصلاة فقط إلى حين حلول الله الروح القدس علينا ويهبنا نعمته السماوية بمقاييس يعرفها هو. وحين يتنازل ويحل علينا، فلنتوقف عن الصلاة.

لماذا إذن نحن ندعوه تكراراً بالصلاة: '...هلمَّ واسكن فينا، وطهرنا من كل دنس، وخلص أيها الصالح نفوسنا' حين هو قد سبق وحل علينا ليخلصنا نحن الذين نثق فيه وندعو حقاً باسمه القدوس، لكي بتواضع ومحبة نستقبله هذا المعزي في هياكل نفوسنا الجائعة والمتعطشة لحضوره؟

"سأشرح لك ذلك يا حبيب الرب بمثال: إفترض أنك دعوتني لزيارتك، وأنا لبيت دعوتك للجلوس إليك والتحدث معك، ولكن بالرغم من وجودي عندك لم تكف عن تكرار الدعوة قائلاً: 'هلم بالتفضل بالدخول عندي!' فحتما سأفكر في نفسي قائلاً: ماذا حدث؟! هل فقد عقله؟! إنني عنده وهو لا يزال يكرر دعوتي. وهذا تماماً ما يحدث مع الروح القدس، ولهذا يقول المزمور: 'كفوا فاعلموا، إني انا هو الله، أعلو في الأمم، وأعلو في الأرض' (مزمور45:10، السبعينية). بمعنى آخر، إنني أُظهر وسأظل أُظهر ذاتي لكل مؤمن وسأتحدث معه، كما كنت أتحدث مع آدم في الفردوس، ومع ابراهيم ويعقوب وبقية خدامي، موسى وأيوب ومن شابههم.

"البعض يعتقد أن هذا 'الإكتفاء' يختص فقط بالأمور الأرضية، أي أنه أثناء الحديث مع الله بالصلاة على المرء أن 'يكف' عن كل ما هو أرضي، وهذا صحيح، أما أنا فأقول لك بإسم الله أنه ليس فقط من الضروري أن نموت عن الأمور الأرضية أثناء الصلاة،[2] ولكن حين بقوة الإيمان والصلاة القادرة على كل شيء يتنازل إلهنا الروح القدس ليحلّ علينا زائراً، ويأتي إلينا في ملء صلاحه الفائق، علينا أيضاً التوقف عن الصلاة بحد ذاتها.

"روح الإنسان المصلي تتحادث مع الله وتنطق العبارات، اما عند حلول الروح القدس فيجب علينا أن نبقى صامتين لكي نسمع بوضوح وجلياً جميع كلمات الحياة الأبدية التي سيسمح بها الله بأن يوصلها إلينا. اليقظة الكاملة للنفس والروح وطهارة وعفة الجسد، مطلوبين في هذه الحالة. هكذا كان الحال في جبل حوريب عندما امر موسى بني إسرائيل أن يمتنعوا عن المعاشرات الزوجية مدة ثلاثة أيام قبل حلول الرب على جبل سيناء، لأن 'إلهنا هو نار آكلة' (الرسالة إلى العبرانيين 12:29) تلتهم كل ما هو غير طاهر، ولا يستطيع أن يدنو منه أي دنس جسدياً أو روحياً."

نعم يا أبتي ولكن ماذا عن الأعمال الصالحة الأخرى التي تُعمل من اجل المسيح، لكي نقتني بواسطتها الروح القدس؟ أنت لهذه اللحظة لم تتكلم سوى عن الصلاة.

"إقتناء نعمة الروح القدس يكون أيضاً بممارسة كل الفضائل الممكنة من اجل المسيح. تاجر بتلك التي تعطيك أوفر الأرباح. رأس المال المكتنز من نعمة الله الغنية، والذي هو ثمرة الأرباح من الأعمال الصالحة التي تعود علينا، أودعه في بنك التوفير الإلهي الأبدي وسوف يعطيك فائدة روحية، ليس فقط 4% أو 6% بل 100% للروبل الروحي الواحد، بل وأكثر بما لا يُقاس.

"فمثلاً إذا كانت الصلاة والسهر تجلب لك نعماً كثيرة، فاسهر وصلِّ. الصوم يجلب لك مزيداً، فصُم. المحبة تجلب لك باستفاضة، فاعمل أعمال المحبة. وهكذا أوزن (قيّم) كل عمل صالح يُعمل باسم المسيح.

"سأتكلم عن نفسي أنا المسكين سيرافيم، فلقد وُلدت في عائلة من تجار مدينة كورسك، وقبل دخولي الدير كنت وأخي نشتغل بالتجارة بمختلف البضائع، وخاصة تلك التي تجلب لنا الأرباح الوفيرة. فأصنع أنت بالمثل، كما أن هدف التجارة هو تحقيق أكبر ربح ممكن، هكذا يلزم أن يكون هدف الحياة المسيحية ليس فقط ممارسة الصلاة والأعمال الصالحة، بل اقتناء كل النعم الممكنة. وبالرغم من أن الرسول يقول 'صلوا بلا إنقطاع' (1 تسالونيكية 5:17)، هو كما تذكر يضيف 'الأفضل أن أتكلم خمس كلمات بفهم عن عشرة ألاف كلمة باللسان فقط' (1 كورنثوس 14:13). وينذرنا الرب قائلاً: 'ليس كل من يقول لي يارب يارب يخلص، ولكن الذي يصنع إرادة أبي،' أي أن الذي يعمل عمل الرب والأكثر من ذلك يعمله بمهابة، لأنه 'ملعون من يعمل للرب برخاءٍ' (إرمياء 48:10). وما هو هذا العمل إلاّ الإيمان بالله وبالذي أرسله، يسوع المسيح (القديس يوحنا 14:1؛6:29). وإذا فهمنا وصايا المسيح والرسل جيداً، جهادنا المسيحي لا يقتصر على زيادة عدد أعمالنا الصالحة التي تشكّل السبل الوحيدة لتعزيز غاية حياتنا المسيحية، بل إستخلاص أكبر فائدة منها، أي الحصول على المواهب الفائقة للروح القدس.

"يطيب لي يا صديق الرب، أن تحصل على مصدر النعمة الإلهية هذا الذي لا ينضب، وأن تسأل نفسك على الدوام السؤال التالي: "هل أنا في روح الله ام لا؟" وإن كنت في الروح،

فمبارك الرب! فليس هناك من شيء لتحزن عليه. أنت مستعد للظهور أمام دينونة المسيح الرهيبة فوراً. لأنه مكتوب: 'سأدينكم بحسب الحالة التى اجدكم عليها.' ولكن إن لم نكن بالروح، فيلزمنا أن نكتشف لماذا ولأي سبب شاء ربنا وإلهنا الروح القدس أن يفارقنا؛ وعلينا أن نطلبه ثانيةً، وأن نستمر بالبحث حتى نجده ثانية وبصلاحه يعود إلينا ويكون معنا. ويلزمنا مهاجمة الأعداء الذين يبعدوننا عنه حتى نلاشيهم تماماً، كما قيل على لسان القديس النبي داود: 'أتعقب أعدائي فأدركهم ولا أنكص حتى أفنيهم. سأضيق عليهم تضييقاً فلا يستطيعون القيام، فيسقطون تحت قدميّ' (مزمور 39-38:17، السبعينية).

"هكذا هي الأمور يا بني. هكذا يجب عليك ممارسة التجارة الروحية بالفضائل، وزّع هبات النعمة التي للروح القدس لكل من يحتاجها، كما الشمعة المضاءة والمحترقة بنار أرضية تلمع في ذاتها وتضيء شموع أخرى لإنارة الجميع في أماكن أخرى دون أن تفقد بريقها. وإن كانت هذه هي الحال بالنسبة للنار الأرضية، فماذا يمكننا القول عن نار النعمة التي لروح الله الكلي قدسه؟ فالثروات الأرضية تتناقص عند توزيعها، أما الكنز السماوي لنعمة الله فكلّما ازداد توزيعه كلّما هو يتضاعف عند الذي ينشره. لذلك سُرّ الرب بشخصه أن يقول للمرأة السامرية: 'كل من يشرب من هذا الماء يعطش ثانية، وأما من يشرب من الماء الذي أعطيه له، فلن يعطش إلى الأبد بل الماء الذي أعطيه له يصير فيه ينبوع ماءٍ ينبع إلى الحياة الأبدية' (القديس يوحنا 14-4:13).

ثم سألته: يا أبي إنك تتكلم دائماً عن إقتناء الروح القدس كغاية الحياة المسيحية، فكيف وأين أتعرّف عليه؟ إن الأعمال الصالحة ظاهرة، لكن هل الروح القدس يمكن ان يُرى؟ وكيف لي أن أدرك إن كان يسكن فيّ ام لا؟ فأجاب:

"في هذا الزمان، ونتيجة فتورنا الشبه جامعي في الإيمان بربنا يسوع المسيح، وغفلتنا عن أعماله الإلهية في العناية بنا، وفقدان الحس بالإتصال بالله، يمكن القول أننا قد ذهبنا بعيداً لدرجة أننا تخلينا كلياً تقريباً عن الحياة المسيحية الأصيلة. فشهادات الكتاب المقدس الآن تبدو لنا غريبة، حين، على سبيل المثال، يقول الروح القدس على فم موسى: 'ورأى آدم الله ماشياً في الفردوس' (قارن مع تكوين 3:10)، أو حين نقرأ كلمات الرسول بولس حين 'منعه الروح من الكرازة في آسيا، ولكنه رافقه إلى مكدونية.' ويُذكر ظهور الله للناس أكثر من مرة في فقرات أخرى في الكتاب المقدس.

"لهذا السبب يقول البعض: "إن هذه الفقرات غير مفهومة، وهل ممكن للبشر بأن يعاينوا الله علناً هكذا؟!" لكن ليس هناك من أمر غير مفهوم هنا. إن عدم الفهم هذا هو ناتج عن تركنا لبساطة المعرفة المسيحية الأولى. تحت إدعاء العلم والمعرفة، لقد وصلنا إلى هذا الكم من ظلمة الجهل لدرجة أن ما فهمه القدماء بكل وضوح يبدو خارج التخيل بالنسبة لنا. حتى في الأحاديث العادية، لم تكن فكرة ظهورات الله للإنسان بالأمر المستغرب لهم على الإطلاق. لذلك، حين وبّخه أصدقاؤه واتهموه بالتجديف على الله، أجابهم أيوب: 'كيف يكون هذا وأنا أشعر بنفخة روح الله في أنفي' (قارن مع أيوب 27:3). بتعبير آخر، 'كيف لي أن أجدف على الله إن كان الروح القدس معي؟! إن كنت قد جدّفت على الله لفارقني الروح القدس، لكن عجباً! فانا أشعر بنَفَسه في أنفي.'

"وبذات الطريقة تماماً، يُقال عن إبراهيم ويعقوب أنهما رأيا الله وتحادثا معه مراراً، بل أن يعقوب قد صارعه. وموسى وكل الشعب معه عاين الله حين مُنح أن يتسلّم منه لوحي العهد على جبل سيناء. إن عمود السحاب وعمود النار أو، بمعنى آخر، النعمة المرئية

للروح القدس، كانت مرشداً لشعب الله في الصحراء. الشعب عاين الله ونعمة روحه القدوس ليس في النوم ولا في الأحلام ولا في تصوّر خيال ضعيف، بل فعلاً وعلناً.

"لقد صرنا غافلين جداً عن العمل على خلاص نفوسنا لدرجة أننا أيضاً نسيء فهم كلمات أخرى عديدة في الأسفار المقدسة، وكل هذا لأننا لا نطلب نعمة الله وبكبرياء عقولنا لا نسمح لها بأن تسكن في نفوسنا. لهذا السبب نحن نفتقر للإستنارة الحقيقية من الله التي يرسلها إلى قلوب البشر الذين هم جياعاً وعطاشاً بصدقٍ لبرّه.

"كثيرون يفهمون خطأً قول الكتاب المقدس: 'فصنع الله الإنسان من طين الأرض ثم نفخ في أنفه نسمة حياة' (تكوين 2:7)، وكأن آدم أول ما خلق لم تكن فيه نفس ولا روح بشرية، وإنما جسد مخلوق من الطين. هذا التفسير خاطئ، لأن السيد الرب خلق آدم من طين الأرض فعلاً وإنما بالحالة التي يقصدها الرسول بولس حينما يشدد: 'لتُحفظ أرواحكم ونفوسكم وأجسادكم كاملة بغير لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح' (1 تسالونيكية 5:23). هذه المكونات الثلاثة التي بها يكتمل كياننا، خلقت من طين الأرض. آدم لم يخلق ميتاً ولكن جسماً حيوانياً متحركاً وفاعلاً، مشابهاً بقية الخلائق الحية على الأرض التي تحركها المشيئة الإلهية. ولكن حدث ما يفوق مجرّد الخلقة. فلو أن الله ما نفخ في وجه آدم نفخة الحياة هذه (أي نعمة الروح القدس المنبثقة من الآب والمستقرة على الإبن وبسببه ترسل إلى العالم كله) أقول لولا هذه النفخة لبقي آدم محروماً من الروح المؤَلِّه، رغم أنه خُلق بصورة كاملة، ليسود على كل الخلائق الأخرى، وكتاج لكل الخليقة التي على الأرض. ولبقي على شبه كل الخلائق التي وبالرغم أن لها جسد ونفس، كل واحد كجنسها، ولكنها محرومة داخلياً من الروح القدس. ولكن أول ما نفخ الله في وجهه نفخة الحياة صار آدم –

حسب قول الكتاب – 'نفساً حية' (تكوين 2:7) أي مشابهاً لله في كل شيء، قابلاً للحياة الأبدية دون موت. كان آدم متسلطاً على كل العناصر الأخرى إلى الدرجة التي لا يستطيع فيها الماء أن يغرقه، ولا النار أن تحرقه، ولا الأرض أن تبتلعه، ولا الهواء له سلطان أن يؤذيه. كل شيء كان خاضعاً لسيادته عليه كمختار الله وكأنه مالك وملك الخليقة كلها. كان هو الكمال ذاته، إكليل صنعه الله ومكرماً لذلك. نفخة الحياة التي تلقاها آدم من الله ملأته حكمة حتى أنه لم يكن – وغالبا لن يكون – على الأرض إنسان يضارعه في الإمتلاء من المعرفة والفهم. ولما أمره الله أن يعطي أسماء لكل الخلائق، أعطاها طبقاً لأوصاف ومواصفات وقوة وخصائص كل منهما المعطاة لها من الله.

"وبسبب هذه الهبة التي وهبته إياها النعمة الإلهية الفائقة، والتي آلت إليه نتيجة لاقتباله نفخة الحياة، كان آدم يستطيع أن يرى ويفهم أن الله يتمشى في الفردوس ويعي كلامه، وكذلك محادثات الملائكة القديسين، بل ولغة سائر الخلائق، الوحوش والطيور والزواحف الحية التي تعيش على الأرض، وهو كل ما خفي عن أفهامنا نحن الخطأة منذ السقوط، والذي كان جلياً وواضحاً لآدم قبل سقوطه. هذه الحكمة ذاتها، والقوة نفسها والقدرة عينها، وكذلك كل الصفات المقدسة والخيرّة كانت قد أعطيت من الله لحواء عندما خلقها، لا من طين الأرض ولكن من ضلع آدم في عدن، جنة الفرح والسرور، في الفردوس الذي زرعه في وسط الأرض.

"وحتى يستطيع آدم وحواء أن يحتفظا على الدوام بما آل إليهما من الصفات غير المائتة، الكاملة والإلهية، والتي حازاها بنفخة الحياة، زرع الله لهما شجرة الحياة في وسط الفردوس، ووضع في ثمارها كل كيان وملء هبات نفخته الإلهية. ولو لم يخطئ آدم وحواء لأمكنهما

وكل نسلهما أن يأكلوا من ثمار هذه الشجرة، فيحتفظوا بالقوة المحيية للنعمة الإلهية في داخلهم وكذلك بالملء غير الفاني، الذي يتجدد إلى الأبد، للقوى الجسدية والنفسية والروحية، ولبقوا على الدوام دون أن تتطرق إليهم الشيخوخة، وهي حالة فائقة مطوّبة يعجز خيالنا الآن عن إدراكها.

"ولكنهما إذ ذاقا من شجرة معرفة الخير والشر قبل الأوان، ومخالفةً لوصية الله، فميّزا بين الخير والشر، وصارا فريسة للأهوال التي لحقتهما بعد هذا التعدي على الوصية الإلهية. ففقدا العطية الثمينة التي هي نعمة الروح القدس. ولذلك حتى مجيء المسيح يسوع الإله المتجسد 'لم يكن الروح القدس قد أعطي بعد، لأن يسوع لم يكن بعد قد مُجّد' (القديس يوحنا 7:39).

"هذا لا يعني أن روح الله كان قد فارق العالم بالكلية، ولكن وجوده لم يكن مستعلناً كما كان في آدم، ولا كما هو فينا الآن نحن المسيحيين الأرثوذكس. ولكنه كان يبقى كخارجي عن الإنسان، على الرغم من أن علامات حضوره في العالم كانت معروفة للناس. على سبيل المثال، فكثير من أسرار الخلاص المزمع أن يكون للبشرية كانت قد أُعلنت لآدم وحواء بعد السقوط. وبالرغم من إثم قايين، فقد استطاع أن يسمع الصوت الإلهي موجهاً له اللوم. نوح تكلم مع الله، وابراهيم رأى الله ويومه العظيم وتهلل برؤيته (قارن مع يوحنا 8:56). كانت نعمة الروح القدس تتجلى خارجياً لجميع أنبياء العهد القديم وفي أبرار إسرائيل، حتى أن العبرانيين – فيما بعد – أنشأوا مدارس خاصة لأبناء الأنبياء، ليتعلموا كيف يدركوا ظهورات الله أو الملائكة ويميزوا بين أفعال الروح القدس وأعمال وأحداث الحياة العادية الخالية من النعمة. سمعان الشيخ، ويواكيم وحنّة جدّي المسيح وكثيرون من

خدام الله، كانت عيونهم مفتوحة وانكشفت لهم بعض الأسرار الإلهية، فكانوا يسمعون أصواتاً أو يتلقون إعلاناً يتأكد لهم بعد ذلك بمعجزات أو أحداث فائقة لكنها واقعية.

"وكان روح الله يُستعلن أيضاً للوثنيين، ولكن بصورة أضعف. بالرغم من عدم معرفتهم للإله الحقيقي، إلاّ أن الروح كان يجد في وسطهم بعض المختارين ممن هو مؤهل لذلك. فعلى سبيل المثال كانت هناك نبيّات عذارى، يعرفن بـ "السبليين"، كن نذرن بتوليتهن لإله مجهول، ولكنه إله على كل حال، كانوا يعتقدون أنه خالق الكون، كلي القدرة، ويحكم العالم كله، كما تخيله الوثنيين. ومع أن الفلاسفة الوثنيين أيضاً كانوا يتيهون في ظلمات الجهل بالله، ولكن بالرغم من ذلك كانوا يبحثون عن الحق، ولذلك إذ سرّ الله بهذه الغيرة للحق، استحقوا أن ينالوا بصيصاً من الروح القدس في حدود ولو ضيقة، كما هو مكتوب: 'الأمم الذين لم يعرفوا الله، ولكنهم سلكوا بالطبيعة بحسب الناموس، فقد صنعوا ما يسر الله' (قارن مع رومية 2:14). الرب يقدّر جداً الحق، إلى الحد الذي جعله هو نفسه يعلن بالروح القدس، 'الحق من الأرض أشرق، والبر من السماء تطلّع' (مزمور 84:12، السبعينية).

"وهكذا ترى يا صديق الله، حُفظت معرفة الله في كل من شعب العبرانيين المقدس، المحبوب من الله، وكذلك عند الوثنيين الذي لم يعرفوا الله. وهكذا يا بني، بوضوح وعقلانية تامّين، كيف كان الروح القدس إلهنا يعمل في الإنسان. وبواسطة ما يشعر به داخلياً أو خارجياً يستطيع الواحد أن يتأكد أن هذا الفعل من الروح القدس وليس تضليل من العدو، وهذا ما كان منذ سقوط آدم وحتى تجسد ربنا يسوع المسيح.

"بدون هذا الإدراك الحقيقي لفعل الروح القدس والذي حُفظ دائماً في الطبيعة البشرية، لم يكن بإمكان الإنسان أن يتأكد من مجيء نسل المرأة، ذاك الذي وُعد به لآدم وحواء، لكي يسحق رأس الحية (تكوين 3:15).

"وفي آخر الأيام، أعلن الروح القدس لسمعان الشيخ عندما كان في سن الخامسة والستين، سر الحبل البتولي وميلاد المسيح من كلية الطهر الدائمة البتولية مريم. وفيما بعد، بعد أن عاش بنعمة الروح القدس 300 عام تقريباً وهو في سن ال365، جاهر في الهيكل أنه تأكد، بواسطة الروح القدس، أنه سوف يرى المسيح مخلص العالم، الذي حُبل به من الروح القدس بغير زرع بشر بخلاف الطبيعة، والذي سبق أن قيل له عن ميلاده منذ ثلاثمائة عام.

"وهناك أيضاً حنة النبية، إبنة فنوئيل، التي منذ ترمّلها منذ أكثر من ثمانين عاماً كانت خلالها تخدم الله في الهيكل، وهي ممتلئة من النعمة والحكمة، خادمة طاهرة لله، من خلال مواهب خاصة أخذتها من النعمة. أعلنت هي أيضاً أن هذا هو المسيّا المنتظر، المسيحي الحقيقي، الإله المتأنس، ملك إسرائيل الذي جاء من أجل خلاص آدم والجنس البشري كله.

"عندما أتم ربنا يسوع المسيح عمله الخلاصي وقام من بين الأموات، نفخ في وجه تلاميذه، مجدداً نفخة الحياة التي فقدها آدم، واعطاهم بذلك نفس النعمة التي كان يتمتع بها آدم. وليس هذا فحسب، ولكنه قال لهم أنه خير لهم أن ينطلق إلى الآب، لأنه إن لم يذهب لا يأتي روح الله إلى العالم. ولكن إن مضى (المسيح) إلى الآب سيرسله إلى العالم، وعندما يأتي هذا المعزي فإنه سيقتادهم وكل من يؤمن بتعليمهم نحو الحق الكامل، وهو سيذكرهم بكل

ما قاله لهم عندما كان لا يزال بعد معهم في هذا العالم. ما وعدهم به حينها كان نعمة فوق نعمة (القديس يوحنا 1:16).

"وهكذا في يوم الخمسين، فقد أرسل لهم بمهابة، الروح القدس كريح عاصف، على شكل ألسنة نارية استقرت على كل واحد منهم وملأتهم من قوة النعمة الإلهية الملتهبة، وكأنها نسمة محيية ومفرحة لنفوسهم، والتي أشركتهم في قوتها وفعلها (قارن أعمال الرسل 4-2:1).

"نعمة الروح القدس ذاتها هذه الساكبة النار والموهوبة لنا جميعاً نحن المؤمنين بالمسيح في سر المعمودية، تُختم بالمسحة المقدسة (أي بالمسح بزيت الميرون المقدس) على أعضاء الجسم الرئيسية كما تحددهم الكنيسة المقدسة، المؤتمنة أزلياً على هذه النعمة. يُقال: 'ختم هبة الروح القدس.' فيا حبيب الله على ماذا نضع أختامنا إذا ليس على الأوعية التي تحتوي على ما هو ثمين للغاية؟ لكن أي شيء في العالم أثمن وأقدس من هبات الروح القدس المرسلة لنا من الأعالي في سر المعمودية؟ نعمة المعمودية هذه هي عظيمة جداً ولا غنى عنها وحيوية للإنسان لدرجة أنه حتى الهرطوقي لا يحرم منها إلى حين موته بالذات، أي إلى تمام فترة إختباره المؤقته على الأرض والمحددة من العناية الإلهية، وذلك لترى ماذا باستطاعته أن ينجز من أعمال (أثناء هذا الفترة المعطاة له من الله) بواسطة قوة النعمة التي منحت له من العلى.

"لو لم نخطئ بعد المعمودية، لبقينا إلى الأبد قديسين للعلي، أطهاراً بلا لوم، متغربين عن كل نجاسات الجسد والروح. لكن المشكلة هي أننا نتقدّم في مكانتنا لكننا لا نتقدّم في النعمة ولا في معرفة الله كما تقدّم ربنا يسوع المسيح. بل على العكس، فنحن إذ نتعمّق في حياة الفساد نُحرم من نعمة روح الله الكلي القداسة ونرتكب الخطيئة بدرجات مختلفة

ونصبح أسوأ الناس الخطأة. ولكن إذا تحرّك قلب الإنسان برحمة الله الذي يبحث عن خلاصنا ويقبل كل شيء، ويصمّم إكراماً له أن يكرّس الساعات المبكرة إلى الله وللسهر لكي يجد خلاصه الأبدي،[3] حينئذ، في طاعة لصوته، يجب أن يسرع بتقديم توبة حقيقية عن كل خطاياه، ويمارس الفضائل المضادة للخطايا التي كان يفعلها. وهكذا من خلال الفضائل التي يمارسها لأجل المسيح سيحصل على الروح القدس الذي يعمل فينا ويؤسس ملكوت الله في داخلنا. فالأسفار المقدسة لا تقول عبثاً 'لأنَّ ملكوت الله في داخلكم' (القديس لوقا 17:21)، و'ملكوت الله يُغصب والغاصبون يختطفونه' (القديس متى 11:12).[4] هذا يعني أن الناس الذين، وبالرغم من أغلال الخطيئة التي تقيدهم (بقساوتها وتحريضها إياهم على ارتكاب خطايا جديدة) وتمنعهم من اللجوء إلي مخلصنا بتوبة صادقة لتتصالح معه، يغصبون أنفسهم على كسر هذه الأغلال، كارهين كل قوى قيود الخطيئة – هؤلاء الناس في نهاية المطاف يظهرون فعلاً أمام وجه الله أكثر بياضاً من الثلج مطهّرين بنعمته. 'تعالوا إلي يقول الرب، إن كانت خطاياكم كالقرمز أجعلها بيضاء كالثلج' (إشعياء 1:18).

"معاين سفر الرؤيا القديس الرسول يوحنا اللاهوتي رأى مرةً رجالاً هكذا لابسين حُللاً بيضاء (التي هي ثياب البر)، وممسكين بأيديهم سعفاً (علامة النصر) ومرنمين ترنيمة رائعة لله: "هلليلويا". ولايستطيع أن يقّلد جمال هذه الترنيمة. ويقول ملاك الرب متحدثاً عنهم: 'هؤلاء هم الذين أتوا من الضيق الشديد، وقد غسلوا حُللهم وبيّضوها بدم الحمل' (رؤيا القديس يوحنا 14-7:9). هؤلاء اغتسلوا بمعاناهم وابيضّوا بالمناولة من الأسرار الطاهرة والمحيية التي هي جسد ودم الحمل بلا دنس ولا عيب – المسيح – الذي ذُبح بإرادته من قبل كل الدهور من أجل خلاص العالم، وهو لا يزال حتى الآن يُذبح ويقسّم لكنّه لا

ينتهي. من خلال الأسرار المقدسة نحن نُمنح خلاصنا الأبدي والدائم كخبز الحياة الأبدية، كجواباً حسناً أمام دينونته الرهيبة، وكبديلاً ثميناً يفوق إدراكنا أُعطي لنا عوضاً عن ثمرة شجرة الحياة تلك التي أراد عدو البشرية إبليس الساقط من السماء أن يحرم منها الجنس البشري. بالرغم من أن العدو والشيطان أغوى حواء وسقط معها آدم ، الله ليس فقط منحهم مخلّصاً من ثمرة نسل المرأة وطئ الموت بموته، ولكنه أيضاً منحنا جميعاً في شخص الإمرأة، والدة الإله مريم الدائمة البتولية التي سحقت في ذاتها رأس الحية وفي الجنس البشري بأكمله، وسيطة دائمة لأجلنا أمام ابنها وإلهنا، وشفيعة ملحّة لا تقهر حتى عن الخطأة الأكثرهم يأساً. ولهذا السبب والدة الإله تُدعى بحق: "طاعنة الشياطين"، لأنه يستحيل على الشيطان أن يقهر ويهلك إنساناً، طالما لا يكفّ هذا الأخير عن الإستنجاد بوالدة الإله.

"يتوجب عليّ إضافةً أن أشرح لك يا صديق الرب ما هو الفارق الكبير بين عمل الروح القدس، الذي يسكن سرياً في قلوب الذين يؤمنون بربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، وأعمال ظلمة الخطيئة التي بإلهام وإيعاز من الشيطان تعمل على إفتراسنا. يذكّرنا الروح الله بأقوال ربنا يسوع المسيح ودائماً يعمل فينا منتصراً معه، مفرّحاً قلوبنا، ومرشداً خطواتنا في طريق السلام. في حين أن الروح الشيطاني الكاذب يعمل بطريقة مضادة لطريق المسيح، وأفعاله فينا تستثير الثورة والعناد وهي مليئة بشهوات الجسد والعين وتعظم المعيشة.

’الحق الحق أقول لكم، الذي يؤمن بي فلن يموت أبداً، (القديس يوحنا 6:47) ’وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد‘ (القديس يوحنا 11:26). ذاك الذي بحوزته نعمة الروح القدس جزاءً عن إيمانه المستقيم بالمسيح، حتى ولو بسبب ضعفه البشري كان قد

سقط في خطيئة ما تسبّبت بموت نفسه، فهو لن يموت أبداً ، بل سوف يقوم بنعمة ورحمة ربنا وإلهنا يسوع المسيح، الرافع خطيئة العالم (القديس يوحنا 1:29)، وهو يعطي مجاناً نعمة فوق نعمة. ويتكلم الإنجيل عن هذه النعمة التي استُعلنت للعالم أجمع ولجنسنا البشري بواسطة الإله–الإنسان، فيقول '... فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس' (القديس يوحنا 1:4) ويضيف 'والنور في الظلمة يضيء والظلمة لم تدركه' (القديس يوحنا 1:5). وهذا يعني أن نعمة الروح القدس التي ننالها في المعمودية باسم الآب والابن والروح القدس، وبالرغم من سقطاتنا المتتالية، وبالرغم من الظلمات التي تكتنف النفس، فهي تستمر في اللمعان داخل قلوبنا بهذا النور الإلهي (الذي وجد منذ الأزمنة الأزلية) الذي لاستحقاقات المسيح اللانهائية. أما الخاطئ المتمادي، فإن نور المسيح يصرخ للآب .. 'يا أبّا الآب! لا يحمو غضبك ضد هذه القساوة إلى النهاية (نهاية حياته).' وثم، عندما يهتدي الخاطئ إلى طريق التوبة، فهي تمسح تماماً كل آثار الجرائم التي ارتكبها في الماضي، وتستر الخاطئ سابقاً مجدداً بثوب عدم الفساد الذي نسجته نعمة الروح القدس هذه، التي طالما حدثتك عن اقتنائها يا أحبّ الله كهدف الحياة المسيحية.

"وينبغي أن أضيف أيضاً، حتى تدرك بوضوح أكثر ما الذي أعنيه بالنعمة الإلهية، وكيف نتعرّف عليها، وكيف عملها يُستعلن خاصة للإنسان الذي تنير قلبه: إن نعمة الروح القدس هي النور الذي ينير الإنسان. فكل الكتاب المقدس يتكلم عن ذلك. هكذا تكلم أبونا داود القديس الذي أتى من نسله الإله المتجسد: 'ناموسك سراج لرجلي ونور لسبلي' (مزمور 118:105، السبعينية). وأيضاً: 'لو لم تكن شريعتك هي تأملي لكنت هلكت في مذلتي' (مزمور 118:92، السبعينية). بمعنى آخر، إن نعمة الروح القدس التي يعلنها الناموس من خلال وصايا الرب الإلهية هي سراجي ونوري. وإذا نعمة الروح القدس

هذه (التي أحمّل نفسي كل حذر وغيرة على اقتنائها، فأتأمّل بأحكام عدلك سبع مرات في النهار) لم تنيرني في وسط ظلمة الهموم الغير منفصلة عن الدعوة السامية لمنصبي الملوكي، كيف إذا يمكن أن أجد في نفسي قبساً من النور ليضيء طريقي في مسار الحياة التي أظلمتها أحقاد أعدائي وحسدهم؟!

"في الحقيقة، لقد أوضح الرب نفسه مراراً وأمام شهود كثيرين كيف تعمل نعمة الروح القدس في البشر الذين طهّرهم وأنارهم وعلّمهم بأعماله الباهرة. استذكر موسى النبي بعد كلامه مع الله على جبل سيناء وكيف لم يستطع الشعب أن ينظر إليه إذ كان وجهه يلمع بنور بهي عجيب. وهو حتى كان يلزمه أن يحجب وجهه ببرقع حين ظهر بين الشعب. واستذكر تجلّي الرب على جبل طابور حيث أحاط به نور عظيم و'صارت ثيابه بيضاء جداً كالثلج' (القديس مرقس 9:3)، فخاف تلاميذه وسقطوا على وجوههم. لكن حين ظهر موسى وإيليا معه في ذلك النور عينه، ظلّلتهم سحابة لكي تحجب عنهم لمعان نور النعمة الإلهية التي أعمت أعين التلاميذ. هكذا تظهر نعمة روح الله الكلي قدسه في نور بهي لا يوصف لجميع الذين يُعلن لهم الله عن عمله."

وسألت الأب سيرافيم: "ولكن كيف؟ هل أستطع أن أعرف إن كنت موجوداً في نعمة الروح القدس؟!" فأجاب:

"هذا أمر بسيط جداً يا صديق الرب. لهذا السبب يقول الرب 'كلها واضحة للفهماء' (أمثال 8:9، السبعينية). المشكلة هي أننا لا نجدّ في البحث عن هذه المعرفة الإلهية التي لا تنفخ لأنها ليست من هذا العالم. هذه المعرفة الممتلئة محبة لله وللقريب تُعد كل إنسان وتبنيه لكي يعرف خلاصه. ويقول الرب في حديثه عن هذه المعرفة أن الله 'يشاء لجميع الناس أن

يخلصوا وإلى معرفة الحق يُقبلوا' (1 تيموثاوس 2:4)، ولما رأى أن تلاميذه تنقصهم هذه المعرفة قال: أحتى الآن أنتم أيضاً بغير فهم؟ (القديس متى 15:16) وعن هذه المعرفة يقول الإنجيل مشيراً عن الرسل أنه 'فتح أذهانهم ليفهموا الكتب' (القديس لوقا 24:45) وقد كان الرسل يدركون دائماً بحق إن كان روح الله معهم أم لا، وقد ملأهم من كل معرفة ومن كل فهم وكل حكمة روحية، وقد رأوا حضور الروح القدس معهم وأعلنوا بوضوح وتأكيد أن عملهم كان بالكامل سبب مسرة للسيد الرب. وهذا يفسر لماذا كتبوا في رسالتهم: 'ارتضى الروح القدس ونحن ...' (أعمال الرسل 15:28). فقط على هذه الأرضية الصلبة قدموا رسائلهم كحقيقة مؤكدة نافعة لكل المؤمنين، وهكذا أدرك الرسل القديسين وتيقنوا من حضور الروح القدس وسكناه فيهم. وهكذا أترى يا صديق الرب كم سهل هذا الأمر!"

فأجبت: "بالرغم من ذلك، فأنا لا أستطيع أن أدرك كيف يتسنَّى لي التأكد من أنني في الروح القدس؟ كيف أكتشف من ذاتي إستجلاء وجوده؟!" فأجابني الأب سيرافيم:

"لقد سبق أن قلت لك أن هذا أمر سهل، وشرحت لك تفصيلاً كيف كان الناس يوجدون في ملء الروح القدس، وكيف يمكن إدراك حلوله فينا .. فما الذي يلزمك يا بني؟!"

أجبت: "يلزمني أن أفهم ذلك جيداً"!

عندئذ أمسك الأب سيرافيم بكتفي وشدَّد قبضته عليهما وقال:

"أننا كلينا الآن، أنا وأنت، في ملء الروح القدس، لماذا لا تنظر إليّ؟"

فأجبت: "أنني لا أستطيع يا أبي أن أتجه بنظري نحوك! إن بريقاً شديد اللمعان يشع من عينيك، ووجهك أصبح أكثر لمعاناً من الشمس، إن عيني تعجزان النظر إليك "!

فأردف الأب سيرافيم:

"لا تخف يا صديق الرب، إنك أنت نفسك في مثل هذا الضياء، وأنت أيضاً الآن قد صرت في ملء الروح القدس، وإلاّ ما أمكنك أن تراني هكذا."

ثم أحنى رأسه نحوي وهمس في أذني:

"أشكر الرب لأنه منحنا هذه الرحمة التي لا يُعبّر عنها. لقد رأيت أنني لم أرسم ذاتي حتى بعلامة الصليب، لكني صليت فقط في قلبي: 'يارب، إجعله مستأهلاً أن يرى بجلاء، بعيني الجسد، حلول روحك القدوس، كما لخدامك المختارين عندما تنازلت لتظهر لهم أنت في بهاء مجدك!' أترى يا بني كيف استجاب الرب في الحال للطلبة المتواضعة للمسكين سيرافيم. كيف إذاً لا نشكره على هذه الهبة التي لا توصف والتي منحها لكلانا؟ حتى للنّساك العظام، يا بني، لا يظهر الرب الله دائماً رحمته هكذا. نعمة الله هذه، كالأم الرؤوف، يسرّها أن تعزّي قلبك المنسحق، بشفاعة والدة الإله ذاتها. ولكن لماذا لا تحدّق في عيني مباشرة؟ فقط أنظر ولا تخف! فإن الله معنا!"

بعد هذه الكلمات، رفعت عيني إلى وجهه، فسرى في جسدي خوف أعظم، تخيّلوا أنه في وسط قرص الشمس، ووسط أشد لمعان لضياء أشعة الشمس ظهراً، وجه إنسان يتحدث إليك! فترى حركة شفتيه، تعبيرات عينيه المتباينة، وتسمع رنين صوته وتشعر بأحد يضغط على كتفيك، لكنك في نفس الوقت لا تبصر لا يديه، ولا جسمه، ولا حتى ذاتك أيضاً. لا شيء سوى ضوء باهر يشع حولنا لعدة يردات،[5] مضيئاً بلمعانه

البرّاق كل من بساط الثلج الذي يغطّي فرجة الغابة ورقائق الثلج التي كانت تتساقط على الستارتز العظيم وعليَّ. فيمكنكم أن تتخيلوا الحالة التي كنت فيها!

ثم سألني الأب سيرافيم: "بماذا تشعر الآن؟"

أجبته: "بحالة جيدة تفوق العادة."

"لكن بأي طريقة؟ بماذا تعني تحديداً بقولك 'بحالة جيد'"؟!

أجبته: "إن نفسي يغشاها سكون وسلام تعجز الكلمات عن التعبير عنهما."

فقال الأب سيرافيم: "عن هذا يا صديق الرب، هذا السلام هو الذي قال عنه الرب لتلاميذه: 'سلامي أعطيكم، ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا (القديس يوحنا 14: 27). لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لأجل هذا يبغضكم العالم' (15:19). 'ولكن ثقوا، فإني قد غلبت العالم' (16:33). ولهؤلاء البشر الذين أبغضهم العالم لكن الله اختارهم، يعطي الله السلام الذي تشعر به الآن، وعنه يقول الرسول 'السلام الذي يفوق كل عقل' (الرسالة إلى فيليبي 4:7). الرسول يصفه بهذا الوصف لأنه يستحيل على الكلمات بأن تعبّر عن الراحة الكيانية الروحية التي تتولّد في القلوب البشرية التي يزرعه فيها الرب. المسيح المخلص يدعوه السلام الذي يأتي من سخائه الخاص. وهو ليس من هذا العالم ، لأنه لا يمكن لأي سعادة أرضية وقتية بأن تعطيها لقلب الإنسان. فهي معطاة من الأعالي من الرب نفسه، ولذلك فهي تسمّى سلام الله.

وسألني الأب سيرافيم:

"بماذا تشعر أيضاً؟"

أجبته، "بعذوبة (بحلاوة) عجيبة."

فتابع: "إنها العذوبة التي تتكلم عنها الأسفار المقدسة: 'من دسم بيتك يشبعون، ومن نهر نعميك تسقيهم' (مزمور 35:8، السبعينية). والآن هذه العذوبة تفيض في قلوبنا وتسري في عروقنا، فتشعر بإحساس من الفرح لا يمكن وصفه. ومن هذه العذوبة تذوب قلوبنا كما لو في الماء ونمتلئ كلانا بإحساس بالسعادة لا يمكن للكلمات أن تعبر عنه. وماذا تشعر أيضاً؟"

"بفرح عجيب يملأ قلبي".

فتابع الأب سيرافيم: "عندما يحل الروح القدس على الإنسان ويغمره بملء عطاياه، تمتلئ النفس بفرح لا يوصف، لأن الروح القدس يملأ بالفرح كل ما يلمسه. عن هذا الفرح يقول الرب في الإنجيل: 'المرأة حين تلد تحزن لأن ساعتها قد أتت، لكنها متى ولدت الطفل لا تعود تذكر شدّتها لفرحها بأن إنساناً قد وُلد في العالم. في العالم ستكونون محزونون لكن حين أراكم ثانيةً ستفرح قلوبكم ولن ينزع أحد فرحكم منكم' (القديس يوحنا 22-16:21). لكن بقدر ما هو معزّي هذا الفرح الذي تشعر الآن في قلبك، هو لا يُقارن بذاك الذي قال عنه الرب على لسان رسوله إذ 'لم تره عينٌ ولا سمعت به أذنٌ ولا خطر على قلبِ بشرٍ ما قد أعدّه الله للذين يحبونه' (1 كورنثوس 2:9). إن ما نناله الآن ليس سوى عربون لهذا الفرح الفائق. وإن كنا منذ الأن نشعر بالحلاوة، ونظفر بالفرح ونمتلئ بالرضا، فما الذي يمكن أن نقوله عن السعادة والفرح الأبدي المعد في السماء لأولئك الذين قد بكوا ههنا على الأرض؟ وأنت يا بني بكيت ما يكفي في حياتك، ولكن انظر

عِظم العزاء بالفرح الذي يسبغه الرب عليك في حياتك ههنا على الأرض. فالآن الأمر يعود لنا يا بني بأن نضيف أعمالاً على أعمال لكي ننطلق من قوة إلى قوة (المزمور 83:7، السبعينية) إلى أن ننتهي إلى مقدار قامة ملء المسيح (أفسس 4:13)، وهكذا تتحقق كلمات الرب فينا: 'الذين يرجون الرب يجددون قوة، وتنبت لهم أجنحة نسور، ويسعون بلا هوادة ويمشون بلا تعب' (إشعياء 40:31)؛ ينطلقون من قوة إلى قوة، ويظهر لهم إله الآلهة في صهيون (مزمور 83:5، السبعينية) الإدراك والرؤى السماوية. وحينئذ فقط فرحنا الحالي (الذي يحل علينا الآن قليلاً وموجزاً) يُستعلن لنا في كل ملئه، ولا يستطيع كائن ما كان أن ينزعه منَّا، إذ سنمتلئ فيضاناً من مسرّات سماوية لا تفسّر. بماذا تشعر أيضاً يا أحبّ الله؟"

أجبته: "بدفء استثنائي"

"كيف تشعر بالدفء يا بني؟ فانظر، نحن في الغابة. وإنه عز الشتاء ونحن في العراء، والثلوج تحت أقدامنا. وهناك أكثر من بوصة من الثلج تغطينا وهو لايزال يتساقط. فأي حرارة تكون؟"

أجبته: "أنها مثل حرارة الحمّامات العامة، عندما تُصب المياه على الحجر وترتفع منها سُحب البخار!"

والرائحة أتشبه رائحة الحمامات؟!

"كلاّ،" أجبته. "لا يوجد عطر على الأرض يُعادل جمال هذه الرائحة. عندما كانت أمي لا تزال على قيد الحياة وكنت أحب الرقص، وعندما كنت أذهب إلى الحفلات

الراقصة، كانت تغرقني والدتي بأغلى العطور التي كانت تشتريها من أفخر محلات قازان. ولكن لم تكن أبداً رائحتها لتضاهي هذه الرائحة الزكية."

فابتسم الأب سيرافيم:

"إنني أعرف ذلك تماماً كما تدركه أنت يا بني، لكنني أسألك عن قصد لأرى إن كنت تشعر به بذات الطريقة. وهي الحقيقة المطلقة، يا صديق الرب! لا يوجد عطر أرضي يمكن أن يصل إلى جمال هذه الرائحة التي نشمها الآن، لأننا نحن الآن مغمورين بالرائحة الزكية التي للروح القدس. فما الذي يمكن أن يشبَّه بها على الأرض؟ كنت تقول أنك تشعر بالدفء كما في الحمام، لكن أنظر إلى الثلوج التي تغطينا أنت وأنا؛ إنها لا تذوب، وكذلك تلك التي تحت أرجلنا. الحرارة إذا ليست خارجية في الهواء لكن داخل نفوسنا. إنها الحرارة ذاتها التي يدفعنا الروح القدس إلى طلبها بالصلاة: 'إلهبني بحرارة روحك القدوس!' هذه الحرارة هي التي جعلت النّساك رجالاً ونساءاً أدفياء لا يعبأون بالبرد القارس شتاءً لأنهم كانوا يتغطون كما بمعطف من الفراء، في رداء معطى–بالنعمة نسجه الروح القدس. وهكذا يجب أن يكون الأمر في الواقع الفعلي، لأن النعمة الإلهية تسكن في أعماقنا، في قلوبنا، لأن الرب قال: 'ملكوت الله في داخلكم' (القديس لوقا 17:21). وبملكوت الله الرب يقصد 'نعمة الروح القدس'. إن ملكوت الله هذا هو الآن في داخلنا، ونعمة الروح القدس تشرق علينا وتدفئنا من الخارج أيضاً. وهي تملأ الهواء المحيط بعدة روائح عطرة، وتفرّح حواسنا ببهجة سماوية وتغمر قلوبنا بفرح لا يوصف. وحالنا هذا يشبه ما يصفه الرسول بولس: 'ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً لكنه بر وسلام وفرح في الروح القدس' (رومية 14:17). إن إيماننا لا يقوم على كلام حكمة أرضية، بل ببرهان الروح وقوته (قارن 1

كورنثوس 2:4). إنها ذات الحالة التي نحن قائمون فيها الآن، وهي التي كان الرب يقصدها بقوله: 'الحق أقول لكم، أن من القيام ههنا قومٌ لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة' (القديس مرقس 9:1). أترى يا بني مدى السعادة التي منحنا إياها الرب والتي لا يعبّر عنها! وهذا هو معنى أن تكون 'بملء الروح القدس' والذي كتب عنه القديس مكاريوس المصري الكبير قائلاً: 'كنت أنا ذاتي في ملء الروح القدس.' وبملء الروح القدس هذا قد ملأنا الرب الآن نحن جبلة يديه المساكين. لذلك لا حاجة الآن يا حبيب الرب بأن تسألني ثانية عن الكيفية التي يأتي بها البشر ليكونوا في نعمة الروح القدس وحضوره. فهل ستتذكر هذا الإستعلان عن رحمة الله الفائقة الذي حلّ علينا؟"

"إنني لا أدري يا أبي إن كان الرب سيمنحني أن أذكر رحمة الله هذه على الدوام وبنفس الوضوح الذي أشعر به الآن!"

أجابني الأب سيرافيم:

"أعتقد أن الرب سوف يساعدك على الإحتفاظ بذلك في ذاكرتك على الدوام، وإلا لما كان صلاحه انحنى بسرعة وبهذه الطريقة لصلاتي المتواضعة ولما كان استدرك بسرعة طلبة المسكين سيرافيم. بالإضافة إلى ذلك، فإن ما حدث لم يكن من أجل شخصك وحده التي أعطيت له رؤية إستعلان هذه النعمة، وإنما بواسطتك للعالم كله، وذلك لكي تثبت أنت في عمل الله وتكون ذا منفعة للآخرين أيضاً. أما عن حقيقة وضعنا المتباين كوني أنا راهب وأنت علماني فهذا خارج السياق تماماً. ما يطلبه الله هو إيماناً أصيلاً بشخصه وبإبنه الوحيد، ومقابل هذا هو يرسل من الأعالي نعمة الروح القدس بوفرة. إن الرب يطلب القلب المملوء حباً له وللقريب، وهذا هو العرش الذي يشتهي أن يجلس عليه، وفيه يتجلى

بأبهى مجده السماوي: 'يا بني أعطني قلبك، وما عدا ذلك فسأعطيه لك بزيادة' (أمثال 23:26، القديس متى 6:33)، لأن قلب الإنسان يستطيع أن يحوي ملكوت السموات. الرب أوصى تلاميذه: 'أطلبوا أولاً ملكوت السموات وبره، وكل هذه تُزاد لكم، لأن أبوكم السماوي يعلم أنكم تحتاجونها' (القديس متى 6:32,33). الرب لا يوبخنا على استخدام الخيرات الأرضية، لأنه يقول بنفسه أنه نظراً لوضعنا ههنا، نحن نحتاج إليها لتكون لنا راحة في وجودنا، ولتصر حياتنا أكثر يسراً وطريقنا إلى الوطن السماوي مُعبَّداً. لذلك قال الرسول بطرس أن برأيه ليس هناك أفضل من التقوى مع القناعة في هذه الدنيا (قارن 2 كورنثوس 9:8؛ 1 تيموثاوس 6:6). والكنيسة المقدسة تصلي لكي يكون لنا هذا بإسم الرب الإله. وبالرغم من أن الآلام والأحزان والإحتياجات على أنواعها لا بد منها في حياتنا على الأرض، إلاّ أن الرب لم يَشأ أبداً ولا يشاء أن تتحول الهموم مع المشقات إلى النسيج الأوحد في حياتنا. ولذلك هو يدعونا من خلال الرسل لأن 'نحمل بعضنا أثقال بعضٍ وهكذا نتمم ناموس المسيح' (غلاطية 6:2). الرب يسوع المسيح نفسه أوصانا أن نحب بعضنا بعضاً، وإذ نتآزر بهذا الحب، تصير مسيرتنا الشاقة في الطريق المؤدي إلى وطننا السماوي ميسَّرة لنا ومقبولة. لماذا نزل الرب نفسه من السماء إذا لم يكن ذلك لكي يحمل عنا فقرنا ومذلتنا ليجعلنا أغنياء بغنى صلاحه وسخاءه غير المتناهين؟ فقد أتى لا ليُخدم من قِبل البشر بل ليَخدِمهم بشخصه، وليعطي حياته فدية خلاص لكثيرين. فاسلك هكذا يا صديق الله، وبما أنك عاينت رحمة الله التي أظهرها لك بوضوح، أخبر عنها لكل إنسان يبتغي الخلاص. 'الحصاد كثير،' يقول الرب، 'ولكن الفعلة قليلون' (القديس لوقا 10:2). لقد دعانا الرب الإله للعمل وأعطانا مواهب نعمته لكي، إذ نحن حصدنا سنابل خلاص أقربائنا البشر وجلبنا أكبر عدد ممكن منهم إلى ملكوت الله، نكون قد أتينا له

بثمار، البعض ثلاثين والبعض ستين والبعض الآخر مائة. لننتبه إذاً يا بني لئلا ندان مع العبد الشرير والبطّال الذي طمر الوزنة التي أعطيت له، ولنجتهد لنتمثل بأولئك العبيد الأمناء الذين ردّوا للسيد، الواحد عوض الوزنتان رد أربعة والآخر عوض خمسة وزنات ردّ عشرة (راجع القديس متى 30-25:14).

أما عن المراحم الإلهية فليس هناك من أي شك بها. وها أنت قد رأيت بنفسك كيف أن أقوال الله التي قيلت على فم النبي قد تحققت فينا: 'لستُ إلهاً بعيداً، ولكنك أقرب لي من يدي' (قارن إرمياء 23:23)، وأيضاً 'خلاصك في فمك' (قارن تثنية الإشتراع 14-30:12؛ رومية 13-10:8). لم يكن لدي وقت حتى لأرسم علامة الصليب على ذاتي، لكني مجرَّد تمنّيت في قلبي أن يؤهلك الرب لمعاينة رحمته في ملئها، حتى سارع له المجد بتحقيق رغبتي. أنا لا أقول ذلك على سبيل الإفتخار، ولا لأظهر لك أهميتي فأستثير غيرتك، ولا لكي تظن خطأ أن ذلك كان بسبب إنني راهب بينما أنت علماني. لا، كلاَّ يا صديق الرب! 'الرب قريب من جميع المستغيثين به بالحق' (المزمور 144:18) 'وليس عنده محاباة وجوهٍ' (أفسس 6:9). لأن الآب يحب الإبن وجعل كل شيء في يده (قارن القديس يوحنا 3:35). فيا ليتنا نحن أنفسنا أحببناه، هذا أبانا السماوي، تماماً كأبناء له حقاً! الرب يسمع للراهب تماماً كما يسمع للعلماني المسيحي البسيط الساكن في العالم طالما أن كلاهما مؤمنين مستقيمي الرأي، ويحبا الله من أعماق أنفسهما وكلاهما لديهما إيمان عظيم به، أقلّه 'مثل حبة خردل'؛ وهكذا كلاهما يستطيعان أن ينقلا الجبال. 'يَطْرُدُ وَاحِدٌ أَلْفًا، وَيَهْزِمُ اثْنَانِ رَبْوَةً' (قارن تثنية 30:32). والرب نفسه يقول 'كل شيء مستطاعٌ للمؤمن' (القديس مرقس 23:9)، والرسول القديس بولس يصرّح: 'أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني' (فيليبي 4:13). ولكن ألا يتكلم ربنا يسوع المسيح أعظم

من كل هذه عن الذين يؤمنون به: 'الذي يؤمن بي فالأعمال التي أعملها أنا يعملها هو أيضاً بل ويعمل أعظم منها، لأني ذاهب إلى الآب. وسوف أصلي لأجلكم حتى يكون فرحكم كاملاً. حتى الآن لم تطلبوا شيئاً بإسمي، لكن الآن اطلبوا...'(القديس يوحنا 14:12,16؛ 16:24).

"هكذا يا بني، كل ما ستطلبه من الله ستناله، فقط ينبغي أن ما تطلبه يكون لمجد الله، أو لخير قريبك. لأن كل ما نعمله لخير القريب يعتبره الله لمجده. ولذلك يقول:'بما انكم فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغار، فبي فعلتموه' (قارن القديس متى 25:40). فلا يكون لك أي شك إذاً ان الرب سيستجيب طلباتك، بمجرّد أنها كانت لمجد الله ولبنيان ونفع قريبك. ولكن حتى لو طلبت شيئاً لإحتياجك الشخصي، الله سيمنحك إياه سريعاً إذا كانت هناك فعلاً حاجة وضرورة ماسّة له. فالرب يحب الذين يحبونه. الرب متلطّف مع جميع البشر، وهو يعطي بوفرة لمن يدعون باسمه، ومواهبه تُسكب على جميع أعماله. هو يعمل إرادة خائفيه ويسمع صلواتهم ويحقق جميع غاياتهم. لذا فالرب سيستجيب لكل طلباتك (قارن المزمور 144:19؛ 19:4,5). لكن فقط احذر يا حبيب الرب بأن تطلب شيئاً من الله ليس هناك حاجة طارئة له. لكن حتى تلك فالرب لن يرفضها لك مقابل إيمانك المستقيم في المسيح المخلّص، لأن الرب لن يترك صولجان الأبرار بين يدي الخطاة (قارن المزمور 124:3)، .وهو لن يتهاون لعمل إرادة عبده داود. لكنه سيدعوه للمحاسبة لأنه ألّح عليه دون ضرورة عاجلة، ولأنه طلب منه شيء كان يمكن أن يتماشى دونه بسهولة.

"ها أنا قد قلت لك كل شيء يا صديق الرب، وأظهرت لك كل ما أراد الرب وأمه القديسة أن يظهروه لك فعلاً بواسطتي أنا المسكين سيرافيم. فأمض بسلام، وليكن الرب نفسه وأمه القديسة معك الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين. إمض بسلام."

طيلة فترة هذا اللقاء كلها، ومن اللحظة التي أضاء بها وجه الأب سيرافيم، استمر هذا الإشعاع من وجهه؛ وكل ما قاله لي من بداية الحديث حتى الآن، قاله لي ملتزماً المكان ذاته دون تغير. ذاك الضياء الباهر الذي كان يشع منه، أنا رأيته بعينيّ هاتين. وأنا مستعد أن أشهد بذلك وأقسم عليه.

أيها الأب القديس سيرافيم، تشفّع لأجلنا.

✠

---

* تمّ تنقيح هذا النص، الذي وُجد على الإنترنت بالعربية أصلاً، استناداً إلى الترجمة الإنكليزية الموجودة على هذا الرابط: http://orthodoxinfo.com/praxis/wonderful.aspx. ونشير هنا أن اكتشاف النص الأصلي لمخطوطة موتوفيلوف هي بالفعل عجيبة كبرى. فلمدة سبعين سنة تقريباً، كانت هذه المخطوطة الثمينة مدفونة في النسيان وفي خطر أن تتلف لأنها كانت مرمية في كومة من القمامة في علية وتحت غطاء من فضلات الطيور. في هذا المكان وبطريقة عجائبية اكتشفها س.أ. نيلوس وهو المؤلف الشهير لكتاب 'مولتوم في بارفو'. هذا كان يبحث بوقار عن مسودات لسيرة القديس سيرافيم وحين كان ينبش بقايا أوراق وإلى ما هنالك في العلية كان على وشك أن يفقد الأمل بإيجاد أي شيء عندما لفت انتباهه دفتر مكتوب عليه بغموض. اتضح هذا الدفتر أنه مذكرات موتوفيلوف وهكذا أعطي للعالم. وجدت هذه المذكرات عام ١٩٠٢ وطبعت في "أخبار موسكو" عام ١٩٠٣؛ ونبشت رفات القديس سيرافيم ساروفسكي في ذات الوقت تقريباً.

[1] يسجّل القديس يوستينوس (الحوار ٤٧) هذا "القول الغير مدوّن" للمسيح.

[2] المعنى الفعلي هنا "كف عنها" "امتنع عنها".

[3] قارن مع سفر الحكمة ٧:٢٧ ؛ ٢٠- ٦:١٤

[4] قارن مع القديس لوقا ١٦:١٦ "وكلّ يغصب نفسه إليه"

[5] اليرد يساوي ٩٠ سنتيمتراً – المعرّب